المجلة الليبية لعلوم التعليم – العدد الثالث عشر – سبتمبر 2024م مجلد (1)
INNS202153
الموقع الالكتروني: https://laes.org.ly alse9.2019@gmail.com

بحث بعنوان: الدولة عند ابن خلدون ـ دراسة تحليلية نقدية

أ. محمد دروخ ناجم عبد الله ـ كلية التربية ـ جامعة الشاطئ

==========

مقدمة البحث

درست الدولة منذ القدم، من قبل المفكرين والفلاسفة، و لاشك انه كان الفلسفة اليونانية السبق في هذا المجال، وعند دخول الفكر اليوناني الى حاضرة الدولة الاسلامية، قام مجموعة من المفكرين المسلمين بمراسلة الدولة، وحاولوا وضع تصوراتهم ازاء ذلك مستفيدين مما وجدوه عند اليونان دون ان يكونوا ناسخين عوامل من اشهر المفكرين ابن خلدون، فقد عالج موضوع الدولة ولكن برؤية اكثر واقعية وذلك لاعتماده على منهج مغاير منهج الفلاسفة السابقين؛ حيث نظر البها من منظور ما هو كائن، ولعل هذا هو السبب الذي جعلني اختار ابن خلدون كموضوع للدراسة والبحث، والاطلاع على فكره ازاء الدولة.

وفي هذا البحث سأعرض مفهوم الدولة كما صاغة ابن خلدون في مقدمته، وسبب الاجتماع كما وضحه المفكر، محاولين التعرف على العوامل التي ادت الى نشأة الدولة، وعلاقة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بالاجتماع البشري، ثم تناول المفهوم الجديد الذي انفرد ابن خلدون بصياغته وهذا المفهوم هو العصبية، للبحث في العلاقة بين مفهوم العصبية وبناء الدولة

وما يلعبه من دور في مراحل الدولة المخ وتأثيره في قوة الدولة وضعفها.

ثم انتقل الى نقطة اخرى وهي مراحل الدولة، وراي ابن خلدون حول المراحل والاطوار، والتي يرى بان الدولة لابد وان تمر بها كما سنعرض نظرية ابن خلدون في الحكم.

المبحث الاول

اسمه وكنيته والظروف المؤثرة في تفكيره:

هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون: اسمه عبد الرحمن، وكنيته أبو زيد، وقد اكتسب هذه الكنية من اسم ابنه الاكبر حسبها اعتادت عليه العرب في الكنية اما لقب ولي الدين فقد لقب به توليه وظيفة القضاء في مصر، وابن خلدون شهرته نسبة الى جده خالد بن عثمان، وهو اول من دخل من هذه الاسرة بلاد الاندلس، واشتهر فيما بعد باسم خلدون ووفقا للطريقة الاندلسية لتركيب الاعلام، وذلك للدلالة على تعظيمهم لأصحابها، بالإضافة الى واو ونون: (خلدون) و(حمدون) و(زيدون) .... الخ (1).

ولد عبد الرحمن (ابن خلدون) في تونس سنة (ابن خلدون) في تونس سنة (732هـ/الموافق 1332م) وتوفى في القاهرة ودفن فيها عام (808هـ/ الموافق 1406م)، وهناك اختلاف بسيط حول هذه التواريخ.

يعرف ابن خلدون بنفسه وبنسبه فيقول انه " عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن محمد بن ابن الحسن بن جابر ابن محمد ابن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن خلدون"(2).

وقد حرص ابن خلدون في معظم مؤلفاته على اضافة لقب الحضرمي الى اسمه فعلي سبيل المثال في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر يذكر في السطر الاول منه مباشرة " يقول العبد الفقير الى رحمة ربة الغني بلطفه عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى "(3).

عاش ابن خلدون في القرن الثامن الهجري، وفي القرن الرابع عشر الميلادي، وهو العصر الذي شهد العديد من الاضطرابات واتصف بعدم الاستقرار، حيث هجم التتار في الشرق وتقلص حكم المسلمين غربا، بسبب ضعف الاسر الحاكمة بالإضافة الى تفشي وباء الطاعون (4) زيادة الى ظهور الأفكار الخرافية، وسيطرة الجمود الفكري.

اما بالنسبة لأوضاع البلاد العربية في عصر ابن خلدون، فيمكن ان نصفها بانها عاشت مرحلة الانهيار الفكري والثقافي، فقد استولى الاسبان على معظم بلاد الاندلس مما اضطر كثيرا من الاسر العربية الى مغادرتها، ودب الصراع السياسي على السلطة بين بني الاحمر الذين حكموا ما تبقى من الاندلس، تلك الاجزاء التي بقيت تحت سيطرتهم سكان البلاد الاصليين اما بالنسبة لمصر والشام فكانت تحت سيطرة المماليك.

وفي هذه المرحلة ايضا زادت قوة الاتراك وفي اواخر هذا القرن ظهر تيمور لنك واقام مملكة واسعة مترامية الأطراف تمتد منا لصين الى روسيا، وتمكن من بسط سيطرته على الجزيرة العربي وعاث فيها فسادا وخرابا وتدميرا (5).

وهكذا نستطيع ان نتبين ان عصر ابن خلدون وما اتصف به من قلق، كان له تأثيره عليه، لان ابن خلدون لم يعش بمعزل عما يدور حوله، بل تأثر بكل هذه العوامل وكان لها دورا كبيرا في تفكيره وحتى في حياته واستقراره، على اساس ان هذه الاوضاع التي عاصرها اضطرته لحياة التنقل والترحال

حيث يشير بعض الباحثين الى أربع مراحل رئيسية من حياته وهي:

1- **مرحلة النشأة**: وتمتد من ميلاده وحتى عام (571هـ) وتستغرق حوالي عشرين عاما قضاها في تونس، وقضى خمسة عشر عاما منها في حفظ القران وتتلمذ على يد المشائخ، ودراسة مختلف العلوم.
2- **المرحلة الثانية**: وهي مرحلة تقلد المناصب والوظائف الديوانية والسياسية، وتمتد من اواخر عام 751هـ الى اواخر عام 776هـ وتستغرق حوالي خمسة وعشرين عاما وهي مرحلة لم يعرف فيها الاستقرار وقضاها منتقلا بين بلاد المغرب والمشرق الغربي.
3- **المرحلة الثالثة**: وهي مرحلة التفرغ للتأليف وتمتد من اواخر عام 776هـ الى نهاية عام 784هـ وتستغرق حوالي ثماني سنوات قضاها في الكتابة والتأليف، فكتب فيها المقدمة، وكتاب العبر ،وديوان المبتدأ والخبر.

4- **المرحلة الرابعة**: وهي مرحلة الوظائف والتدريس والقضاء، وكتب من اواخر عام 784هـ الى اواخر عام 808هـ وتستغرق زهاء أربع وعشرين عاما (6).

5- من الجدير بالذكر ان هناك بعض الاختلافات البسيطة في تاريخ وفاته، من ذلك ان الدكتور علي عبد الواحد وافي يشير انه توفى في السادس والاعشرين من رمضان عام 808هـ الموافق 16 مارس 1406م عن ستة وسبعين عاما (7).

اما الدكتور احمد محمود صبحي فيقول بان وفاته كانت يوم 29 رمضان عام 808 وليس يوم 27 رمضان (8).

ومهما يكن فان هذه الاختلافات البسيطة ليست لها تأثير يذكر بالعرض السابق، نلاحظ بان حياة ابن خلدون كانت حافلة بشتى الاحداث التي لعبت دورا في تشكيل شخصية، وكان لها تأثير في رسم وتأطير افكاره، كما وانني من خلال تتبع مراحل حياته، لاحظت مدى تأثير البيئة والظروف الاجتماعية والسياسي عليه بحيث يكن القول بان فكرة نتاج لظروفه؛ وسأحاول في هذا البحث ان اوضح فكرته فيما يتعلق بموضوع الدولة.

المبحث الثاني

2- مفهوم الدولة والعصبية لدى ابن خلدون:

يشير ابن خلدون الى ان الاجتماع ضرورة بالنسبة للإنسان، وهو يعتمد على اراء الفلاسفة من قبله بهذا المجال، اذ ان الانسان لا يستطيع اشباع حاجاته كافة بمفرده، فهو بذلك بحاجة الى الغير انطلاقا من مبدا التخصص او تبادل المنافع، فهو يقول : ان الاجتماع الانساني ضروري، ويعبر عنه الحكماء بقولهم الانسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع، الذي هو المادية في اصطلاحاتهم وهو معنى العمران(9) وفي الوقت ذاته يشدد ابن خلدون على ان الفطرة الانسانية هي التي دعت للاجتماع، فجعلته يسعى لتحقيقه؛ اذ لا يستطيع العيش بموته حيث نرى ان ابن خلدون يركز في تفسيره، لسبب الاجتماع، على الجوانب الاخرى التي لا تقل اهمية عن تلك الحاجات المادية، مثل الاحساس بالأمن والانتماء الاسرى وغيرها، وانه قد اشار وبشكل عابر لموضوع التعاون من اجل الدفاع عن النفس، اذ يعتقد ان قدره الانسان اقل من قدره الحيوان الذي يستطيع الدفاع عن نفسه بما يمتلكه من وسائل ... يقول ابن خلدون ما نصه : " وجعل للإنسان الفكر واليد، فاليد مهيأة للصنائع بخدمة الفكر، والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات"(10).

وفي معرض تحليله للاجتماع البشري، يستخدم ابن خلدون مصطلحا غامضا ومميزا، جعله موضع نقاش وتمحيص من قبل الكتاب والباحثين حتى يومنا هذا، وهو تعبير (الوازع)؛ الذي يلعب دور الحافظ والمحدد لتصرف القرد ازاء الاخرين، وذلك منعا للتجاوز الذي ربما يحصل نتيجة للتنافس الذي تفتضيه الحياة الاجتماعية وينطبق هذا

على حالات الصراع التي تحدث في حال حدوت الحرب، وبالتالي بلعب (الوازع) هنا دوره في التصدي لهذه الحرب (11).

ولا غرابة إذا لاحظت بان ابن خلدون ذاته قد استخدم مفهوم (الوازع) استخدامات مختلفة؛ فالوازع عنده (الحاكم) وفي مكان اخر (السلطة المادية) او بمعنى (القوانين) او (الوازع الاخلاقي) ويشير ابن خلدون بان الوازع هو شخص من الجماعة نفسها التي تحقق لها هذا الاجتماع: "الوازع واحد منهم يكون له الغلبة والسلطان واليد عليهم" (12).

ويعتقد ابن خلدون ان الحكم يستند احيانا على العقل وأحيانا على الشرع وهو يمازح بينهما على اعتبار ان الاخرة هي الغاية: " فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة وبصراتها كانت السياسة عقلية؛ وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدينا والاخرة " (13)

ويؤكد ابن خلدون في الوقت ذاته على ضرورة ان يكون الوازع متميزا حتى يقابل بالاقتناع والقبول: " لابد ان يكون مميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع له التسليم والقبول منه"(14).

ولابد من الاشارة هنا ان هناك بعض التناقض في فكرة ابن خلدون عن الوازع حيث اشار سابقا ؛ بان الوازع قد يكون بالظهور والقوة والغلبة وبينما هنا ينتقي شرط القبول(15) يتضح لنا ان الوازع هو الحاكم(الفرد)، حسب وجهة نظر ابن خلدون، وما عدا ذلك فهي اجتهادات للمفكرين والباحثين تحتمل الصحة والخطأ فيما قصده ابن خلدون بهذا المصطلح، حيث يرى بان الوازع يستمد قوته اما بما يمتلكه من دين ومعرفة، او بما يمتلكه من قوة وقهر وبسطوة والتي يحصل عليها اما بذاته او عن طريق العصبية التي تمثل الاساس الذي تستند عليه دولة ابن خلدون فهو يقول : (ان الاميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى و زاع وحكام يزع يعضهم عن بعض، فلابد ان يكون متغلب عليهم بتلك العصبية(16).

ويعرف ابن خلدون العصبية بانها: " التغرة على ذوي القربي واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكه" (17).

ويرى ان العصبية والفضيلة تحفظان قوة القبائل، ولكن لابد لهما من عامل ثالث وهو اما السياسة واما الدين"(18).

ان العصبية عند ابن خلدون ذات طابع شمولي، فهم لم يصنعها في قالبي جامد لا تحيد منه، بحيث جمعت في داخلها روابط الدم وحتى اهل الولاء والمتحالفين، بل انها تتمثل العبيد والرقيق ليكونوا عصبية لأسيادهم (19).

وقد قام ابن خلدون بتحديد المجال الذي تظهر فيه العصبية وتقوى، بحيث ربطها اجتماعات دون غيرها. فهو يرى بان العصبية ترتبط ارتباطا مباشرا بنوع واحد من المجتمعات وهو المجتمع البدوي، الامر الذي جعله يقسم المجتمع الى نوعين: مجتمع البداوة، مجتمع الحضارة.

ويستطرد ابن خلدون في شرح طبيعة المجتمع البدوي في مقدمته مستندا على المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف لما هو موجود في هذا المجتمع ومة الدير ان ابن خلدون يعتقد بان المجتمع البدوي هو البذرة الجنيبية التي يقوم عليها المجتمع الحضري فيما بعد ويبدا ابن خلدون في وصف المجتمع البدوي انطلاقا من نمط الحياة بكل ما تحتويه من اعمال وحرف، فهو يقول: " منهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة؛ ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود انتاحبها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القاشمون على الفلاحة والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد الى البدواة" (20).

يقسم ابن خلدون البدو الى قسمين: قسم يعمل بالرعي (رعي الاغنام والابقار) ويطلق عليهم الشاوية، والقسم الاخر يعمل على رعاية الإبل وتبتها وبالتالي هم أكثر بدواة من رعاة الاغنام والابقار؛ لان الإبل تنتقل من مكان الى اخر مما يؤدي الى توغلهم في القفار، وسيرهم لمجهل الصحراء.

يشير ايضا ابن خلدون الى ا ن اهل البدو أقرب الى الخير في امغاهم من اهل الحضر وذلك لأنهم أقرب الى الفطرة الانسانية، لان انفعال اهل البدو تتجه الى الخير بحيث نجدهم بعيدين عن ارتكاب الفواحش، على عكس بن الحضر الذي نفشت فيه الحياة الدعة وجعلتهم يقبلون على الشهوات: " اهل الحضر بكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدينا، والعكوف على شهواتهم منها، وقد تلوثت أنفسهم بكثير من منمومات الخلق والشر" (21).

اما اهل البدو فيقول عنهم بأنهم:" وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم – أي مثل اهل الحضر – الا انه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها" (22).

ينتقل ابن خلدون ذلك الى الحديث عن اثر الجغرافيا في مظهر وسلوك الفارد وقد اتبع ابن خلدون تقسيمات الجغرافيين الذين سبقوه، حيث قسم الارض الى سبعة اقاليم تتدرج في حرارتها، واعتبر انها الامكان الوحيدة المؤهلة لان تقوم عليها الحضارات يقول الدكتور على اومليل في هذه الصدد : " يحاول ابن خلدون على غرار ما اصبح شائعا في كتب التاريخ الاسلامي، ان يقدم لحديثه عن العمران بالمقدمة الجغرافية، فيحدد مجال العمران وهنا يلجا الى الجغرافيين، ولاسيما للإدريسي فيقسم الارض الى سبعة اقاليم تتدرج من الحرارة جنوبا الى البرودة شمالا" (23).

وهنا نرى ان ابن خلدون كان محقا فيما ذهب اليه من تقديمه للجغرافيا وذلك لما لها من أثر في استقرار الانسان وقيام المجتمعات.

وتحدث ابن خلدون بشيء من التوسع في مقدمته، واصفا سكان الاقاليم السبعة وصفا لايجلوا من دفة، وان حمل في بعض الاحيان انصافا لإقليم وتحاملا على اخر، ويواصل تحليله فيحدث عن إثر الهواء مثلا حيث يقول: قد رأينا خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص (24).

اعتقد هنا ان حديث ابن خلدون عن السودان في هذا السياق، لا يعني به البلد الذي يعرفه الان بهذا الاسم، وانما يقصد اقليما كاملا يتصف بارتفاع درجة الحرارة، يشمل منطقة جنوب الصحراء الكبرى، حاليا هم السكان ذوي البشرة السوداء تحديدا.

اخيرا فان الموضوعية تحتم علينا قول بان ابن خلدون بهذه الآراء قد سبق الكثير ممن تحدثوا عن أثر البيئة الجغرافية، مع الملاحظة انه أغفل المسائل المتعلقة بالوراثة وأثرها في اكتساب الصفات الحسنة.

المبحث الثالث

مراحل الدولة

بعد ان تحدث ابن خلدون عن العصبية، وما تلعبه من دور في بناء المجتمع وتقسيمه للمجتمع الى نوعين بدوي وحضري- يشير الى ان الدولة تمر بمرحل عمودية مثلها مثل الانسان وهذه المراحل (25) هي مرحلة البداوة: ويعتبرها ابن خلدون المضمون الحقيقي للتقدم.

حالة الملك: وتقوم اساسا على العصبية.

حالة الحضارة: وهي تمثل غاية العمران.

ويحدد ابن خلدون عمر الدولة بأجيال ثلاثة، ويعتبر الجيل مساويا لمتوسط عمر الانسان الذي حدده بأربعين سنة، اذ يذكر: " ان الدولة في الغالب لاتعمو ثلاثة اجيال والجيل وعمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون اربعين سنة الذي هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته. قال تعالى (حتى إذا بلغ استده وبلغ اربعين سنة) (26).

ان هذه المراحل الثلاث كما يراها ابن خلدون تتفق مع طبيعة الاشياء وهو في هذا السياق يحدث بطريقة مطلقة دون ان يعني دولة بذاتها.

ان اختيار ابن خلدون للفترة الزمنية التي تمثل عمر الانسان لم يكن اعتباطا، بل انه استند الى راي الاطباء والمجمعين مائة وعشرون سنة " (27).

وبما ان هذه الفترة الى ثلاث مراحل، فانه قد قسمها بعملية حسابية بسيطة جعل منها متوسط كل مرحلة 40 سنة، ولم يكلف ابن خلدون بدعم راية بآراء الاطباء والمنجمين، بل استعان بآيات من القران الكريم انتقاها لهذا الغرض حيث يلاحظ على ابن خلدون انه يلجا كثيرا الى استخدام الآيات القرآنية للتعبير عن آرائه (28).

تجدر بنا الاشارة هنا، بان ابن خلدون عندما شبة الدولة بمراحل عمر الانسان فانه سبق الكثير من علماء السياسة والاجتماع من اصحاب النظرية العضوية، وهو بذلك بعد رائدا من رواد هذه النظرية، التي ظهرت في فترة متأخرة، حيث يكن ان نعبر عن مرحلة الطفولة بالبداوة، في حين تمثل الحضارة مرحلة الشباب، اما المرحلة الاخيرة المتمثلة بالهرم فتمثل الشيخوخة. وبذلك فان الدولة ستكون عبارة عن كائن حي، في مختلف مراحلها التطورية، فقهي تنمو على الدوام، ومن نظام بيولوجي تابت (29).

ونلاحظ ان ابن خلدون بحديثة عن هذه المراحل، قد استطاع ان يتعرف على القوانين التي تحكم حياة المجتمع، وذلك من خلال استقراء الاحداث والظروف المحيطة وهو هنا يوضح ان بكل حضارة مقاييسها، ولكل منهج مقوماته المستمدة من الوقائع (30).

ينتقل ابن خلدون بعد ذلك الى الحديث عن بمجموعة من الأطوار التي تمر بها الدولة، وقد حصرها في 5 اطوار وهي: -

1- الطور الاول: يمثل في الاستلاء على الملك ومحاولة انتزاعه من الدولة السابقة، ويعبر عن قوله: طور الظفر بالبغية وغلب المدافع الممانع، والاستلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السابقة قبها، فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب المحب وجباية الاموال.... " (31).

2- الطور الثاني: يمثل حالة الاستبداد التي يقوم بها الملك الذي ينفرد بالحكم وينع المشاركة، ويعتبر عن ابن خلدون بقوله: " طور الاستبداد على قومه، والافراد دونهم بالملك، وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ..... " (32).

ج- الطور الثالث: وهذا الطور يمثل الاستلاء والفراغ والدعة، والعمل على قطف تمرات السلطة التي يأتي على راسها الحاكم، ويصف ابن خلدون هذا الطور بقوله: (طور الفراغ والسرعة لتحصيل ثرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه، ومن تحصيل المال وتخليد الاثار ... "(33).

د- الطور الرابع: يمثل حالة المحافظة، بمعنى القبول بما تركه الاولون والسير على طريقهم وتقليدهم، وهو: طور القنوع والمسالمة، ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بنى اولوه ... فيتبع اثارهم حذو النعل بالنعل ويقتفى طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء، ويرى ان في الخروج على تقاليدهم فسار امره" (34).

هـ - الطور الخامس: يمثل طور الاسراف والتبذير، ويكون هدف الملك البحث عن المتع والشهوات الحسية، دور العد التنازلي للدولة وتهيا لسقوطها وزوالها ويذكر ابن خلدون ذلك بقوله:" طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته في مجالسه ... (35).

اشير هنا بعد ما استعرضنا هذه الاطوار الخمسة كما عرضها ابن خلدون الى ان هناك اطوار اقتصادية ترافق الاطوار الاجتماعية، فالاستهلاك يختلف من طور لطور اخر، كما ان الحاجات تختلف هي الاخرى.

ان الدولة في حقيقتها لا تتعدى العمر الزمني الافتراضي الذي حدده ابن خلدون، فاذا شارفت الدولة على مدتها واقبلت على الهرم ظهر لذلك علامات:

اولا: كثرة العصائب، ثانيا: الترف، ثالث، صغر سن السلطان، رابعا: الجحابة(36).

ان وصول الدولة الى مرحلة الهرم حسب راي ابن خلدون يتم عن طريقتين اساسيتين هما:

1- ضعف العصبية، ويحدث عادة في الايام الاخيرة من عمر الدولة.

2- الخراب المادي، وهو نتيجة مباشرة للتبذير (37).

" ان ضعف الدولة وانهيارها عند ابن خلدون سنة طبيعية كما كان نشؤها ولابد ان يبدا الخلل الذي يصيب الدولة بإحدى هاتين الدعامتين او بكاتيهما العصبية والمال (38).

ويتضح من خلال هذا النص، ان ضعف الدولة وانهيارها مسالة طبيعية تفرضها حركة التاريخ، ولو ألقينا نظرة سريعة متفحصة على خريطة العالم نستطيع ان نقر حقيقته ان الحضارات التي نهضت لم تكن لتنهض الا على إنقاض حضارات اخرى بائدة.

يكن ان نلخص العوامل المنثرة بانهيار الدولة عند ابن خلدون على النحو التالي:

1- استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين.

2- تقريب الموالي واعطاهم المناصب، واشراكهم في السلطة، ومنهم الامتيازات وأدخلهم الوزارات.

3- الاستبداد بالسلطان وتوريثه للقاصرين والوصاية عليهم (39) وفي نهاية هذا العرض السريع لمراحل الدولة عند ابن خلدون لابد من الاشارة الى ان الفكر قد عاصر بعض الاحداث السياسية المهمة التي ربما كان لها الاثر في فكرته وتقسيمه لهذه المراحل، كمات ان دورة حياة المجتمع تشير الى انه لكل بداية نهاية فالكائن الحي والانسان مفي بذلك – له بداية ولابد له من نهاية وكذلك الدولة. ولعل تثبيته ابن خلدون للدولة بالإنسان دليل على ذلك.

4- نظام الحكم عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون بان نظام الحكم الاصلح والذي يجب ان يسود هو نظام الخلافة وهو بالتالي يعتبر من القائلين بمذهب الوجوب (وجوب منصب الخلافة)، الا انه لم يقر الوجوب مباشرة؛ وانما ربطة بالحاجة بمعنى الحاجة للمنصب، وفي حالة وجود خلل ما وهو عدم القدرة على تسيير امور الدولة بدون حاكم.

ولقد اشار ابن خلدون، الى ان هذا الوجوب كان بإجماع الصحابة والتابعيين حتى لا يترك الناس في حالة فوضى وقد استعرض راي من قالوا بوجوب منصب الإمامة بحكم العقل وناقشهم وانتهى الى ان الوجوب انما هو من الشرع (40).

ويحدث ابن خلدون في المقدمة عن الخلافة فيقول: الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخوية والدينونية الراجعة اليها؛ اذ احوال الدينا كلها عند الشارع الى اعتبارها صالح الاخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) (41)

وهكذا ينتهي ابن خلدون الى وجوب منصب الخلاقة بالاعتماد على دليل الاجماع والحاجة، ولقد افاض في الحديث عن الخلافة والامامة والبيعة، وافرادها فصورة كاملة في مقدمته.

ولقد تحدث ابن خلدون، عن نظام الحكم انطلاقات من تفسيره لفكرة الاجتماع وضرورته؛ والذي راي بانه لا يمكن ان يقوم بغير حاكم (خليفة – ملك)، وكيف يعلب الملك دورا في الاحكام الجائرة، وما تلعبه العصبية من دور في اختيار الحكم او الخليفة.

وقد اوضح ابن خلدون دور السياسة والقوانين الوضعية في حياة الامة بكاملها، فما بالك لو ان هذه القوانين صادرة من عند الله. وستكون في هذه الحالة نافعة للإنسان في دينه ودنياه، وان احكام السياسة هي احكام دنيوية فقط وبالتالي استطاع ابن خلدون ان يفرق بين الملك والخلافة من خلال قوله: (ان الملك هو حمل الكافة على مقتضى الرغض والشهوة والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية والاخروية)(42).

من خلال النص السابق نستطيع ان تحدد انواع الحكم الرئيسية عند ابن خلدون الثلاثة وهي: -

1- الحكم الملكي الطبيعي القائم على الشهوة والقوة.
2- الحكم والملك السياسي.
3- حكم الخلافة الذي له غرض من المصالح الدنيوية، وهي تحقيق مصالحة الفرد في الدينا والاخرة.

من خلال النص السابق نستطيع ان نحدد انواع الحكم الرئيسية عند ابن خلدون الى ثلاثة وهي:

1- الحكم الملكي الطبيعي القائم على الشهوة والقوة.
2- الحكم والملك السياسي.
3- حكم الخلافة الذي غرض ابعد من المصالح الدنيوية، وهي تحقيق مصلحة الفرد في الدنيا والاخرة.

ان ابن خلدون يصف الحكومات على شكلين مختلفين؛ حكومة طبيعية وتقوم على رئاسة مستبدة، وحكومة دينية تقوم على الخلافة وتحكم بالسمه (43).

ومن المفيد الاشارة هنا بان ابن خلدون، لم يتحدث عن انواع حكم او حكومات على نحو ما نسج الفلاسفة؛ وانما تحدث عن الخلافة والملك – وبهذا المجال يقول د. الجابري: (الشيء الوحيد الذي يمكننا تأكيده هنا هو ان ابن خلدون في هذه المسالة مساتلة مصدر السلطة، لم يكن صاحب نظرية، وانما كان مقرر واقع احيانا وناقل اراء احيانا اخرى وإذا كان لابد من نسبة آرائه في هذه القضية الى هذا الجانب او ذاك، فلننسبها الى اطارها الأصلي الحقيقي، إطار الخلافة عند اهل السنة (44).

اما الشروط التي حددها ابن خلدون والواجب توفرها في الخليفة هي:

العلم والكفاية – العدالة – سلامة الحواس والنسب الغربي. وقد افاض ابن خلدون في معرض حديثه عن الشروط في شرح النسب الغربي كأحد الشروط الواجب توافرها في الخليفة- وانتهى به الامر الى استبعاد هذا الشرط.

ونرى ان ابن خلدون قد استبدل الشرط القرشي بمفهوم العصبية في المرحل الزمنية اللاحقة " لقد بنى ابن خلدون نظريته في الحكم على العصبية، وبما ان الخلافة نوع خاص من الحكم، بل هو النوع الخاص بالإسلام، لذلك فان الخلافة على هذا الاساس هي وليدة العصبية (45).

وعلى هذا الاساس يمكن ان نقرر حقيقة مهمة، وهي ان ابن خلدون وفي معرض تحليله لنظام الحكم في الاسلام، انما ينظر الى الخلافة باعتبارها هي الاساس، رغم ان هذه الخلافة قد انقلبت الى ملك في مراحلها اللاحقة، ويكن ان نلخص من هذا العرض لنظام الحكم عند ابن خلدون، ان المفكر يتبنى الاتجاه الاسلامي في الحكم القائم على نظام الخلافة، رغم انه اقر بنوع اخر من الحكم وهو الملك؛ الا انه نظر اليه على انه نتيجة لتحول الخلافة وانقلابها، بفعل سيطرة العصبية، التي اعتبرها ابن خلدون اساسا لقيام الدولة.

نتائج البحث:

من خلال هذا البحث حاولت التوصل الى عدد من النتائج التي يكن ان تسهم في تصحيح بعض الاخطاء او تضيف شيئا جديدا في المعرفة اهمها:

1- راي ابن خلدون ان الحاجة المادية والتعاون الذي ذكره هي سبب الاجتماع، لأنه لا محبة بدون تعاون ولا تعاون بدون محبة؛ فقد رأى ان عجز الانسان عن اشباع حاجاته المادية بمفرده، والتعاون مع غيره هو سبب الاجتماع.
2- شبة المجتمع السياسي المنظم بالكائن الحي، فقد شبة المراحل التي تمر بها الدولة بتلك المراحل العمرية التي يمر بها الانسان من طفولة وشباب وكهوله.

3- فيما يتعلق بطبيعة الانسان من القائمة على التنافس والترافع؛ فيرى بان الصراع متأصل في الطبيعة الانسانية، وليس من الضروري ان يكون الصراع صفة سلبية، وانما هو صفة طبيعية وذات تأثير ايجابي يلعب دورا في خلق التطور الذي تنشده الدولة.

مع ملاحظة ان لا يتحول هذا الصراع الى عنف لان ذلك يؤدي الى نتائج عكسية وبدون هذا الصراع والتنافس يصبح المجتمع شبيه ببركة ماعراكدة، وبذلك فان الخروج من حالة الجمود، لا يتم الا من خلال الصراع المولد التطور.

4- يرجع ابن خلدون نشأة الدولة الى حاجة المجتمع للحاكم ووالي وجود من يقوم على راس الدولة، حيث أطلق مفهوم الوازع على هذه القوة الضابطة، التي تقوم بدورها في تنظيم حياة الناس، وفض المنازعات، ونشر العدالة. وقد انتهى ابن خلدون الى تقرير ان هذا الوازع هو الحاكم سواء كان خليفة او ملك.

5- يتبنى ابن خلدون الاساس الاسلامي في نظرته للدولة، حيث نجده أكد على ان الهيكل التنظيمي للدولة لابد وان يستند على اساس اسلامي، من خلال نظام الحكم لديه والذي قال فيه بوجوب منصب الخلافة مستندا في ذلك على نظام الحكم الذي تم اعتماده بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) على الرغم من تأكيده على انقلاب الخلافة الى ملك بحكم العصبية وهذا لا يعني تخليا منه عن الاتجاه الاسلامي في الرئاسة.

كما يظهر اتجاهه الاسلامي واضحا، من خلال الهدف الذي تنشده الدولة وهو تحقيق السعادة، والعدالة، ونشر المحبة، والتعاون بين جميع افرادها وهي مبادئ ولائك نادى بها الاسلام.

6- ان ابن خلدون ينهج نهجا واقعيا في فكره، وذلك انه اعتمد في بحثه على ماهو كائن وليس ما ينبغي ان يكون، وهذا الاسلوب في البحث يتميز بالواقعية، لانه يعتمد على المشاهدة والوصف لما هو موجود من ظواهر، واعتمد على وصف النظام القائم في عصره سواء كان من خلافة او ملك كما انه قام بدراسة حضارات وتاريخ الشعوب.

كما ان موضوعية ابن خلدون وبعده عن الخيال والذاتية دليل اخر على تبنية للاتجاه الواقعي في الكتابة.

7- راي ابن خلدون في تحليله للجوانب السلوكية للافراد وعلاقة ملك السلوكيات بالوضع البيئي المعاش ونمط الحياة، حيث ربط بين السكن الحصين والحين، وبذلك فانه راي ان البدو الذين يعيشون بيوت الشعر هم اشتد بائسا وقوة وشجاعة، ويظهر ذلك واضحا عند ابن خلدون من خلال نقده للمجتمع الحضري القائم على حياة الدعة والترف وهي مظاهر لابد وان تتصف بالجبن.

الخاتمة

بكل موضوعية اعتبر ان الموضوع الذي تناولته، وهو الدولة من اكثر المواضيع التصاقا بالانسان. وقد تعرضت لمحاور هذا الموضوع من خلال طرح الامور الاكثر تداولا والبعيدة عن المواضيع الفلسفية الصرفة- واقصد بذلك تناولي لنقاط تتعلق بالحياة اليومية للانسان كعضو اساسي في المجتمع السياسي المنظم.

لقد تناولت في هذا البحث المفكر الاسلامي ابن خلدون الذي تناول موضوع الدولة من زاويته الخاصة، ودائرة اهتمامه، وظروفه السياسية والاجتماعية السائدة. حيث وجدت انه من واجبي في هذه الدراسة، ان اثبت الفكر الاسلامي، والفلسفة الاسلامية تحديدا ليست هي فلسفة ناسخة؛ وانما هي عطاء اصيل.

فقد كان ابن خلدون جريئا في نقده لبعض مواضيع الفلسفة؛ حيث اوضح عدم قدره العقل البشري على الاحاطة ببعض المسائل الفلسفية، مؤخدا بذلك محدودية العقل.

وقد تميز وتفرد ابن خلدون ببعض الآراء وخاصة ما يتعلق بمفهوم العصبية ومفهوم الوازع وهما مفهوم كانا مدار بحث ويمتحض كبيرين من قبل الباحثين، وقد اثار كثيرا من الجمل وهو ما جعل بعض المؤرخين يعتبرون ان ابن خلدون هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع.

وقد اتاحت لي هذه الدراسة التعرف على الجوانب الابداعية في فلسفة ابن خلدون، وذلك لما تمتع به الفكر من دقة في التصور، وعمق في التحليل، واصالة في التنظير، حيث سيما استعرض مفهوم الدولة وجعله موضوعا للبحث والدراس، فكان له بعض الآراء التي انفرد بها، والتي لم يسقه أحد عليها وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يتعلق بالعصبية.

ولابد من التأكيد بانه قد ترك الاثر البالغ في الفكر الفلسفي، انطلاقا من منهجه في البحث الذي يعتمد الواقع من خلال البحث فيما هو كائن، والذي ظهرت عبقريته من خلال افكاره التي وضع فيها خلاصة دراسته الواقعية للدولة.

قائمة المصادر والمراجع

1- كرو ابوالقاسم محمد - العرب وابن خلدون، ط2، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1971م، ص13.
2- زينب الحضيري – فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، بيروت، دار الثقافة للنشر، 1991م، ص12.
3- عبد الرحمن ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون – ج1، بيروت، مؤسسة الاعلى للمطبوعات، 1971م، ص5.
4- حمودة كامل - تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1992م، ص 152.
5- فاخوري حنا والجر خليل - تاريخ الفلسفة العربية، ج2، ط2، بيروت، دار الجبل، 1992م، ص470.
6- عبد المولى محمود - ابن خلدون وعلوم المجتمع، ط2، تونس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980م، ص28.
7- ابن خلدون – المقدمة – تحقيق: وافي على عبد الواحد، ط3، القاهرة، دار النهضة، 1981م، ص113.
8- صبحي احمد محمود – في فلسفة التاريخ، بيروت، دار الثقافة، منشورات الجامعة الليبية، بدون تاريخ، ص133-134.
9- ابن خلدون- المقدمة – مرجع سابق ذكره، ص337.
10- المرجع السابق- ص338.
11- اللافي محمد - نظريات واحكام الحرب والسلم، طرابلس، دار اقراء، 1985م، ص55.
12- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص339.
13- ابن خلدون – المقدمة- مرجع سبق ذكره-ص577.
14- ابن خلدون- المقدمة- مرجع سبق ذكره، 339.
15- مرحبا محمد، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية، بيروت، دار الفارابي، 1979م، ص798.
16- ابن خلدون- المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص499.
17- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، 484.
18- جمعه محمد لطفي - تاريخ فلاسفة الاسلام، القاهرة بدون دار نشر،1927م، ص237.
19- الملكي عبد الرزاق المفكر الفلسفي عند ابن خلدون، الاسكندرية، مطابع رويال، 1970م، ص158-159.
20- ابن خلدون- المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص468.
21- ابن خلدون – المقدمة- مرجع سبق ذكره، ص474.
22- ابن خلدون – المقدمة- مرجع سبق ذكره، 474.
23- اومليل علي - مصادر التنظير عند ابن خلدون، مجلة الفكر العربي، ص71.
24- ابن خلدون- المقدمة- مرجع سبق ذكره، ص391.

- مجاهد حورية توفيق - الفكر السياسي من افلاطون الى محمد عبده، ط2، القاهرة، ملكيته الانجلو المصرية،1992م، ص274.سورة الاحقاف، الآية 15.

25- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص545.

26- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص545.

27- الساعاتي حسن – علم الاجتماع الخلدوني قواعد المنهج، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م، ص 191.

28- عفت الشرقاوي- في فلسفة الحضارة الاسلامية، ط4، بيروت دار النهضة العربية، 1985م، ص401.

29- الجندي انور– نوابغ الفكر الاسلامي، بيروت، دار الرائد العربي، 1983م، ص382.

30- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص554.

31- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص554.

32- ابن خلدون – المقدمة – مرجع سبق ذكره، ص554. الجابري هرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1988م، ص86.

33- الجابري محمد عابد - العصبية والدولة، بيروت، دار الطليعة،1982م، ص300-301.

34- الجابري محمد عابد - العصبية والدولة، مرجع سبق ذكره، ص307.